مقدمة عامه:

يعتقد أن اسم اسيا Asia مشتق من كلمة Asu التي أطلقها الإغريق أو اليونانيون القدماء على الأراضي الواقعة شرق إقليم بحر إيجه (الموطن الأصلي للإغريق) وتعني هذه الكلمة أرض الشرق أو مشرق الشمس. شكل (١)

وتعتبر قارة آسيا أكبر قارات العالم مساحة حيث تبلغ مساحتها نحو ٤٤.٣ مليون كم٢ أي ما يقرب من ثلث مساحة اليابس في العالم وتمتد امتدادا كبيرًا من الغرب إلى الشرق حيث تمتد بين خطي عرض ١٠° جنوبًا، ٨٣° شمالاً وبذلك فنها تمتد لمسافة ٩٣ درجة عرضية وبهذا يقع معظم القارة في نصف الكرة الشمالي باستثناء أشباه الجزر والجزر الجنوبية في نصف الكرة الجنوبية، كما تمتد القارة من الغرب إلى الشرق في الحدود الغربية لجمهورية تركيا حتى مضيق برنج Bering أي من خط طول ٢٣° شرقاً إلى خط طول ١٧٠° شرقاً ومعنى ذلك أن الأراضي الآسيوية تمتد نحو ١٤٧ خط طول.

وتعد قارة آسيا ثاني قارات العالم بعد قارة أفريقيا من حيث عدد الوحدات السياسية التي تضمها (٥١) وحدة سياسية بينما تضم قارة أفريقيا (٥٥) وحدة سياسية وتهضم أوروبا (٤١) وحدة سياسية. وتتباين الوحدات السياسية بالقارة في مساحتها وعدد سكانها من الدول العملاقة للمساحة مثل الصين الذي تبلغ مساحتها ٩.٦ مليون كم٢ ويسكنها ١.٢٤٦ مليار نسمة عام ١٩٩٧ إلى الدول القزمية وتمثلها قبرص وتبلغ مساحتها نحو ٢٩٨ كم٢ ويعيش فيها ٢٢٤ ألف نسمة.

وتتصف قارة أسيا بمجموعة الخصائص الطبيعية والبشرية التي تميزها عن غيرها من قارات العالم شكل (٢) وهي :

- ترتب على ضخامة القارة في المساحة ظهور التعدد في الظروف الطبيعية التي تسود القارة فأقصى شمالها يقع في المنطقة المتجمدة الشمالية، بينما تصل أطرافها الجنوبية إلى الإقليم الاستوائي، وقد ظهرت الصفة القارية في المناخ لوجود كتلة اليابس الضخم بعيدة عن تأثير البحار بمسافة لا تقل عن ألفي ميل، وتعاني هذه المناطق الداخلية من العزلة الشيء الكثير لأنها إلى جانب بعدها عن البحر، فهي محاطة بسلاسل جبلية مرتفعة صعبة المواصلات، كذلك سلسلة من الهضاب والصحاري القاحلة، ويمتد في قلب آسيا نطاق من الهضاب والجبال لمسافة نحو ٥٠٠٠ ميل من الجنوب الغربي على الشمال الشرقي ويقدر عرضه بنحو ٢٠٠٠ ميل في كثير من جهاته.
- وتمتاز قارة آسيا بأن المناطق المتباينة من مظاهر السطح التي تمتد في مساحات واسعة كثيرًا ما تبدوا متجاورة، فهضبة التبت يصل ارتفاعها إلى أكثر من ١٣ ألف قدم وتمتد لمساحة تقدر بنحو نصف ميل مربع، لاتقع بعيدا عن حوض تاريم الذي ينخفض منسوبه عن سطح البحر، وتعتبر هضبة التبت من أعلى هضاب العالم، كما أن سهول آسيا الشمالية تمتد لمسافة طويلة وليس لها في أرجاء العالم مثيل، وتقع إلى جنوبها سلاسل جبال آسيا الوسطى، وتنتهى قارية آسيا بأشباه جزر هي شبه جزيرة الهند الصينية ومجموعة الجزر التي تجاورها وشبه جزيرة الهند وشبه جزيرة العرب وتعتبر كل واحدة كأنها قارة مستقلة بذاتها لعظم ضخامتها وتصل مساحة شبه جزيرة الهند إلى أكثر من ١.٥ مليون ميل مربع بينما تصل مساحة شبه جزيرة العرب إلى مليون ميل مربع.

- وتمتاز قارة آسيا عن غيرها من القارات الأخرى بسهولة اتصالها بمعظم مناطق اليابس الرئيسية فهي تتصل بقارة أوروبا عبر جبال الأورال التي تفصل الاتحاد السوفيتي القسم الأوروبي وآسيا السوفيتية كما أنها في الجنوب تتصل في المسطح المائي الذي يضم بحر إيجه والبحر الأسود حيث يوجد مضيق البسفور الذي يعمل على وصل- وليس فصل- قارتي آسيا وأوروبا حيث أنه يقع في الأراضي التركية التي تقع إلى الغرب منه تتبع قارة أوروبا وبهذا فإن قارة آسيا تضم أيضاً دولتين أو وحدتين سياسيتين تقع أرضهما في قارتي آسيا وأوروبا معاً.
- كما تتصل بقارة أمريكا الشمالية عن طريق سلسلة جزر ألوشيان ومضيق برنج الذي لا يتجاوز اتساعه ٥٨ كيلو متر.
- وتتصل قارة آسيا بقارة أفريقيا عبر شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس التي تمثل أراضي مصرية- ومصر تقع في القارة الأفريقية. وهنا ند أن تكسر الكتل القديمة ونشأ أخدود البحر الأحمر بذراعيه خليج العقبة وامتداده في وادي عربه والبحر الميت بالأردن وخليج السويس ساعد على تكوين شبه جزيرة سيناء وهنا نجد أن الفصل الطبيعي بين القارتي لا يتسم بالصرامة ونجد أن هناك اتصالاً أرضياً بين قارة آسيا وقارة أفريقيا ركنها الشمالي الشرقي. وتعتبر قناة السويس عامل وصل وليست عامل فصل تلك القناة التي ربطت بين مشارق الأرض ومغاربها وبين قارتها المختلفة لكفيلة بأن تمثل همزة وصل بين أراضي شبه جزيرة سيناء وبين شمال دلتا النيل بمعنى آخر بين قارتي آسيا وأفريقيا، وتعتبر قناة السويس أضيق مسطح مائي يصل بين اليابس الآسيوي بالقارات الأخرى المجاورة بالإضافة إلى مضيق باب المندب الذي يبلغ اتساعه نحو ٣٢كم.
- وفي الجنوب الشرقي تتصل قارة آسيا بقارة استراليا عبر مجموعة الجزر الواقعة جنوب شرق آسيا حيث توجد جزر أندونسيا التي تمتد حتى جزيرة

نيوغينيا شرقاً وبحر تيمور الذي تقع فيه الحدود السياسية البحرية بين استراليا وجنوب شرق آسيا ويصل اتساعه في أضيق منطقة بينهما نحو ٤٣٠ كم وتقع منها ٣٧٠ كم تابعة لقارة آسيا.

- وتأتي آسيا في مقدمة قارات العالم باستثناء أنتار كتيكا من حيث الارتفاع التضاريسي إذ يبلغ المتوسط العام لمنسوب أراضيها ثلاثة آلاف قدم فوق منسوب سطح البحر بينما لا يتجاوز هذا المتوسط ألفي قدم في أمريكا الشمالية و ١٩٠٠ قدم في أفريقيا و ١٨٠٠ قدم في أمريكا الجنوبية وألف قدم في استراليا و ٩٨٠ قدم في أوروبا. أما متوسط منسوب سطح أنتار كتيكا فهو ٦٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. وترجع هذه الظاهرة إلى عظم مساحة السلاسل الجبلية والهضاب العالية إذ تشكل أكثر من نصف مساحة قارة آسيا. هذا فضلاً عن تعدد القمم الجبلية عظيمة الارتفاع فمن بين أعلى ثلاثين قمة في العالم يتناثر في آسيا ٢٤ قمة جبلية منها.

- والواقع أن قارتي آسيا وأوروبا يكونان معاً من الوجهة الجغرافية الطبيعية قارة واحدة، ومن ثم سميتا معاً باسم قارة أوراسيا فالسهل الروسي الأوروبي يجد له امتدادًا من ناحية البنية ومظاهر السطح في سهول سيبيريا، كذا نجد للجدار الجبلي الألبي في أوروبا امتدادًا في سلاسل جبال جنوب وسط آسيا، الممتدة من آسيا الصغرى في الغرب حتى الصين في الشرق. وهناك تشابه كبير على كلا الجانبين الآسيوي والأوروبي في النواحي المناخية والنباتية والحيوانية، بل وفي أوجه النشاط البشري. ويرى علماء الأجناس أن تعمير قارة أوروبا جاء في معظمة من آسيا عبر معابر الاتصال أنفة الذكر.

- وتطل قارة آسيا على بحار ومحيطات متنوعة كالمحيط المتجمد الشمالي والمحيط الهادي والمحيط الهندي وما تمتاز به من خلجان وألسنة بحرية متعمقة في داخل أراضي القارة. كما أن قلة تعاريج السواحل نسبياً أضعف

من المؤثرات البحرية في داخل القارة فسادت المؤثرات القارية بشكل واضح.

- وتمتاز هذه القارة في نظامها التضاريسي بمظاهر النطاقات العريضة التي تمتد ما بين الغرب والشرق.

وتنعكس ظروف الموقع على الخصائص المناخية والبنائية تلك الخصائص التي تمثل أنسكاكاً لتلك المتناقضات الموقعية والتضاريس. فقارة آسيا توجد بها أكثر المناطق ارتفاعاً في درجة الحرارة صيفا كما هو الحال في جنوبها الغربي وشماله الغربي حيث يصل متوسط درجة الحرارة شهر يوليو إلى ٣٥°م في منطقة حوض الخليج العربي وفي شمال غرب الهند كما أنها تضم أشد الجهات العالم برودة في فصل الشتاء وحيث ينخفض درجة الحرارة في شمال وشمال شرق سيبريا إلى (- ٥٠°م). أي أن القارة تشهد تطرفاً مناخياً من ناحية الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف.

وتنعكس ظروف الموقع أيضاً على الخصائص المختلفة والصحاري المختلفة.

- وتضم قارة آسيا العديد من أشباه الجزر ممثلة في شبه الجزيرة العربية غرباً ثم شبه القارة الهندية في الوسط ويليها شبه جزيرة الهند الصينية في أقصى الشرق.
- وتطل أشباه الجزر الثلاثة على مياه المحيط الهندي. ويسودها المظهر الهضبي. وقد فصلت بينهما ألسنة بحرية وخلجان متنوعة في الجنوب الآسيوي بمجموعات جزرية أمام شبه الجزر الكبرى في مياه المحيط الهندي مثل جزر سيلون (Ceylon) وجزر لكاديف (Laccadive) وجزر ماليديف (Maldive) في مياه بحر العرب. كذلك جزر أندمان

(Andaman) وجـزر نيكوبـار (Nicobar) فـي ميـاه خلـيج البنغـال (Bengal).

- ويتمثل نطاق الأقواس الجزرية في شرق وجنوب شرق آسيا صانعاً نظامًا تضاريسياً جزريا تنفرد به القارة دون قارات العالم الأخرى فيظهر نطاق جـزر كوريـل (Kuril) فـي أقصـى الشـمال محتضـناً بحـر أوختسـك (Okhotsk) الداخلي ويليه جنوبًا نطاق الجزر اليابانية في قوس جزري شرق بحر اليابان. ثم نطاق جزر ريوكيو (Ryukyu) إلى المشرق من بحر الصين الشرقي. ثم أخيرًا نطاق جزر الفلبين وجزر اندونيسيا فاصلاً بحر الصين الجنوبي عن المحيط الهادي ويسود هذه الجزر المظهر الجبلي في سلاسل جبلية متوازية ومتقاطعة تحيط بها أشرطة من سهول ساحلية ضيقة تتناثر أمامها جزر صغيرة من أصل مرجاني أو بركاني أو رسوبي.

- وتحتوي آسيا على مجموعة من المتناقضات الجغرافية المتطرفة، ففيها أكبر مساحة من الأراضي الجبلية، وبها أعلى جبال وهضاب في العالم. فقمة إفرست (Everst) في جبال الهيمالايا ترتفع إلى أكثر من ٨٨٠٠ متر (أكثر من ٢٩ ألف قدم). وبآسيا أكثر من أربعين قمة تتجاوز ارتفاعاتها ٦٦٠٠ متر (٢٢ ألف قدم). وللمقارنة نذكر أن أعلى قمم العالم في القارات الأخرى هي قمة أكون كاجوا (Aconcagua) في شيلي بأمريكا الشمالية فلا يتجاوز ارتفاعها نحو (٦٩٠٠ متر)، أما قمة ماكنلي في ألاسكا بأمريكا الشمالية فلا يتجاوز ارتفاعها (٦٠٩٠ مترًا)، وأعلى قمة في أفريقيا قمة جبل كليمنجاور ويبلغ ارتفاعها (٥٧٩٠ مترًا)، ويصل ارتفاع الجبل الأبيض أعلى جبال أوروبا نحو (٤٧١٠ مترًا).

- هذا ويوجد بقارة آسيا ما يعرف بسقف العالم ممثلا في هضاب بامير والتبت ويصل ارتفاعها إلى نحو (٥١٠٠ متر)، أما متوسط الارتفاع فيبلغ (٤٥٠٠ متر). بينما نجد أن أعلى هضاب العالم الأخرى تع فيس أمريكا الجنوبية، وهي هضبة بوليفيا التي يتراوح ارتفاعها بين (٣٣٠٠- ٣٩٠٠ مترًا).

- ويوجد في القارة أدنى نقاط سطح الأرض منسوباً وهي بحيرة بيكال البالغ عمقها أكثر من ٥٠٠٠ متر تحت منسوب سطح البحر وشواطئ البحر الميت البالغ منسوبها ١٢٨٦ قدم تحت منسوب سطح البحر. كما يوجد في آسيا أعمق بقعة على سطح الكرة الأرضية وهي البقعة المعروفة باسم خندق ماريانا Marianos Trench ويمتد الخندق شرق جزر الفلبين فمن مجموعة جزر ميكروبنزيا في شكل قوسي يتثنى جنوب الشرق ويعرف طرفه الشمالي باسم حوض فليمنج وعمقه ٢٨٣٨٠ قدم تحت منسوب سطح المحيط الهادي في حين يعرف طرفه الجنوبي باسم حوض تشالينجر Challenger وعمقه ٣٥٦٤٠ قدم تحت منسوب سطح المحيط.

وتتميز قارة آسيا بالاستقامة النسبية لسواحلها فجملة أطوال سواحلها يصل إلى ٥٦ ألف كم وطبقاً لجملة مساحة القارة فإن كل كيلو متر واحد من هذه السواحل يخدم في المتوسط ٨١٣ كيلو متر مربع من المساحة وهي نسبة ضئيلة بحيث تعكس لنا أن طول سواحلها لا يتكافئ مع المساحة الهائلة التي تشغلها القارة وبمقارنة ذلك بقارة أوروبا نجد أن الكيلو متر من السواحل يخدم ٣١٢ كيلو متر من اليابس مما يعكس لنا شدة التعرج النسبي وزيادة الكثافة الساحلية في خدمة القارة. وقد انعكس هذا على الظروف المناخية حيث تقع أراضي في عمق القارة الآسيوية بعيدة عن المؤثرات البحرية واتسم مناخها بالتطرف. وهنا نذكر أن هنالك في قلب آسيا مساحة تبعد عن البحار بنحو (٢٤٠٠ كم) مما لا نظير له في أي قارة أخرى من العالم.

ولا تقتصر خاصية القارة الآسيوية على المتناقضات الطبيعية فقط، بل تتعداها إلى كافة الجوانب البشرية إذ وفقاً للموقع الجغرافي المشار إليه، فالقارة تشرف على عدد من الأذرع والمضايق البحرية التي تتحكم في طرق التجارة والمواصلات البحرية والتي تقوم بدور هام كحلقة اتصال بين الشرق والغرب مثل قناة السويس والبحر الأحمر ومضيق باب المندب ومضيق هرمز بالخليج العربي في جنوب غرب القارة. فضلاً عن مضيق ملقا (Malacca) الهام بين جزر الهند والمحيط الهادي وشرق القارة. ويربط بالمضايق المنتشرة بين الأقواس الياباني من ناحية والخليج العربي والبحر الأحمر من ناحية أخرى.

إذا كانت القارة تمتاز بالصدارة بين قارات العالم من حيث المساحة والارتفاع وتباين الاختلافات البيئية، فإنها تتميز أيضا ببعض الخصائص البشرية إذ يرجح أنها الموطن الأصلي للإنسان الأول العاقل الذي انتشر بعد ذلك وساد العالم. وقد بنى هذا الرأي على عوامل منها الموقع الوسط لآسيا بين قارات العالم مما يسهل حركة التنقل والهجرة عن طريق المعابر القارية في بداية انتشار الإنسان الأول في أواخر الزمن الجيولوجي الرابع أي عصر البلاستوسين هذا فضلاً عن توفير الأمطار وكفاية الغذاء واعتدال المناخ الملائم لسكنى الإنسان قبل تغير الظروف الطبيعية وسيادة الجفاف وخاصة في جنوب غربي القارة. ويدعم هذا الرأي أنه يعيش في القارة مجموعة متباينة من السلالات التي تمثل جميع الأجناس البشرية المعروفة تقريباً. وهذا تجمع بشري لا مثيل له في قارة أخرى. وأخيرًا قد عثر في آسيا على أقدم حفرية للإنسان العاقل ممثلة في إنسان جزيرة جاوة بجزر الهند الشرقية، كما عثر على مثيل لها في الصين وكذلك اكتشف في القارة حفريات بشرية تشير إلى تطور نمو الإنسان بشرياً. ويرجح أن يكون الموطن الأصلي للإنسان في جنوب غربي آسيا ويرى فريق من العلماء أن يكون جنوب شرقي آسيا هو الموطن الأول للإنسان القديم.

ويمكن القول بوجه عام أن قارة آسيا تعد منشأ لأحد السلالات الثلاثة الرئيسية في العالم، حيث وجدت فيها السلالة المغولية فتقابلت وانصهرت مع غيرها من السلالات الأخرى، ولذلك نجد أن قارة آسيا بها مواضع حضارية تعتبر من أقدم حضارات العالم سواء في بلاد الرافدين أو بلاد الشام أو في الصين وجاوة.

وتعد قارة آسيا مركز الثقل السكاني في العالم إذ يسكنها حالياً نحو ٦٢% من جملة سكان العالم، حيث يعيش بها نحو ٣.٧ مليار نسمة طبقاً لبيانات الأمم المتحدة لعام ١٩٩٧ وذلك من جملة عدد سكان العالم البالغ نحو ٦.١ مليار نسمة، أي حوالي خمسة أضعاف أوروبا، ١٣ ضعف قارة استراليا و١٢ ضعف سكان قارة أمريكا الشمالية وخمسة أضعاف سكان قارة أفريقيا، فهي القارة الرائدة في المساحة وعدد السكان معًا، فآسيا هي مركز الثقل السكاني الأول والأساسي في العالم، حتى سميت بيت البشرية.

ويوجد في آسيا أكثر بلاد العالم ازدحام بالسكان مثل اليابان والصين الشعبية والهند وشبه جزر اليابان وشبه جزيرة الهند الصينية. كما تصل الكثافة السكانية في هونج كونج إلى ٤٠٠٠ نسمة في كم^{٢} وفي سنغافورة على ٣٥٠٠ نسمة في كم^{٢} وهكذا يوجد في شرق وجنوب آسيا نحو ٦٠% من سكان العالم، في الوقت الذي يوجد في القارة نطاقات واسعة شبه خالية من السكان الأقاليم الصحراوية الجافة في الوسط والجنوب الغربي بالإضافة إلى أطراف القارة القطبية الشمالية في الجزر والسهول السيبيرية وكذلك الجبال الشاهقة الارتفاع المعقدة تضاريسيا في وسط القارة، فآسيا هي أرض المتطرفات.

وتقسم القارة حضارياً إلى ثلاث نطاقات متميزة : **النطاق الأول** في آسيا الموسمية التي تحمل الطابع الآسيوي الأصيل وهو نطاق حضارة الأرز حيث تتركز فيه حوالي ٩٠% من مساحة أراضي الأرز في العالم، كما ينتج

أكثر من ٩٠% من جملة الانتاج العالمي من هذا المحصول الغذائي الهام. فالأرز يشكل هنا عماد الثورة فردياً وقومياً. ويمتد هذا النطاق في شرق وجنوب آسيا وهو يمتاز بكثافة سكانية عالية وتعدد الموارد الاقتصادية وتباين مستويات المعيشة بشكل حاد. فترتفع مستويات المعيشة في اليابان وتايوان وكوريا الجنوبية والفلبين بينما تهبط مستويات المعيشة في معظم باقي آسيا الموسمية.

النطاق الحضاري الثاني : يتمثل في وسط وشمال غرب آسيا حيث توغل النفوذ الأوروبي وطبع الإقليم بأسلوب حضاري أوروبي ولاسيما جمهوريات الاتحاد الروسي وتركيا وإيران وقبرص. وقويت العلاقات الثقافية والاقتصادية وسادت التقنية العلمية الغربية وارتفعت معدلات التعامل التجاري كما انتشرت الأيدي العاملة الآسيوية زاحفة من هذا النطاق الآسيوي إلى أوروبا وحوض البحر المتوسط، وكذا نشير ايضا إلى تزاوج النفوذ الأوروبي الأمريكي في كل هذا النطاق الآسيوي.

النطاق الحضاري الثالث : يمثله آسيا العربية في جنوب غرب القارة أي الجناح الآسيوي من الوطن العربي الكبير الذي يشكل وحدة مكانية تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلنطي، ويفصل بين الجناحين الآسيوي والأفريقي البحر الأحمر وهو بحر ضيق يسهل عبوره بالسفن الصغيرة وهو لا يمتد حتى البحر المتوسط شمالاً بل يترك برزخاً كان طريقاً هاماً بين القارتين ثم تحول إلى قناة السويس التي تشكل أهم شريان بحري في العالم يربط بين المحيط الهادي والمحيط الأطلنطي، والبحر يضيق في الجنوب عند باب المندب حديثاً هو مع قناة السويس والبحر الأحمر يشكلون الجزء الأوسط من أهم طريق ملاحي يربط شرق آسيا بغرب أوروبا والأمريكتين، والوطن العربي بجناحيه الآسيوي والأفريقي يمثل وحدة المكان والدين الإسلامي الحنيف واللغة العربية والتاريخ المشترك والثقافة والتكامل الاقتصادي والتجاري. وفضلاً عن

أن آسيا العربية منذ فجر الإسلام امتد نفوذها دينياً وتجاريًا في حوض البحر المتوسط غرباً وفي وسط وجنوب وشرق آسيا شرقا واختلطت الدماء العربية ممثلة الجنس البحر المتوسط بالدماء المغولية في أطراف الوطن العربي الآسيوي. كما اختلطت الدماء العربية بالدماء الزوجية في الأطراف الجنوبية من الوطن العربي الأفريقي بحكم عامل الجوار بأفريقيا الزوجية من ناحية وآسيا المغولية من ناحية أخرى. وهكذا أصبح هذا النطاق الآسيوي العربي وامتداده في الشمال الأفريقي يشكل نطاقاً حضارياً متميزًا. وعلى اتصال حضاري واقتصادي بالنطاقين السابقين. عن المد الإسلامي الكبير ما بين وسط وشرق وجنوب شرقي وجنوب آسيا من ناحية ووسط وشمال أفريقيا وحوض البحر المتوسط من ناحية أخرى. بحيث أصبح عدد السكان المسلمين في العالم يزيد على مليار ومائتي مليون نسمة.